

السلام المحمدي

القصة الفائزة بالجائزة الثالثة في سابقة «الأراب»

بقلم: غانم الكدباغ

غريزة البحث عن الطعام! البصل. العدس. ماذا نأكل اليوم?
(دولة) كل جمعة، تقليد سخيف. غداء فقط. وجبة العشاء
خبز وبطيخ. اللحم ثقيل. الدنيا صيف يا ولدي! مسكينة
طلقتها زوجها قبل ربيعها الثلاثين. ابي لم اعرفه الا زمن الطفولة.
ذكريات سحيقة له لحية كثرة، رأيت مثله في الافلام المصرية.
لا تذهب كل يوم الى السينما يا عزيزي كي ارضى عنك. حنانها
ونصائحها. إني امقتها احياناً. متهاككة تحب نفسها في شخصي.
عشها الزوجي الموءود تبنيه على اسلائي. علم النفس قال هذا.
اقرأه بشغف. جيلنا مغرم بتويد (مركب النقص). احدهم
كان يلفظه مرّ كَب. لا يا سيد سفينة! حنق وهاج المركب
في نفسه واوشك ان يغرق. ضحكنا. لم يتشدد بعدها!!

— اربعة فلوس. يا عم. الله!

— هل تعملين خادمة عندنا!?

— لا! اربعة فلوس لله! اشتري رغيف خبز. ابي اعشى!
(.. صغيرة وحلوة. ما اروعها بعد سنوات، هذا الشعر
إذا رجّله حلاق! ساقاها الآن رفيعتان. بعد سنوات ستمثلتان.
اردافها ستكتنز. فمها ملموم. اشتبهه كثيراً. ضمت، قبل،
نشوة ..)

— ظلموني العواذل مجبك يا ولد!

(الموسيقى الشرقية. اكرها. أمقتها. نغمات كئيبة.
نقرات على (الدنبك) نواح. لا أعماق هناك. دائماً حشرجات
وأناث. فرقعات صوتية، قروود مقلدون، يتملقون الشعب.
وطنية، قومية! خداع. الشعب لا يريد ان يرتفع. هم سفوا
بذوقه. « شوبان » حرر شعباً بموسيقاه!)

— سيداتي! اسادتي! والآن تسمعون: وانا مالي، وانا مالي!

للمطرب عبد الله..

— آه ايها الملعون. يا ولد اقبل الراديو!

— سيد. لا يوجد غير محطة!

(. قروي من تلكيف. يعيش في قوقعة. الحازون لا يعرف

— أهه! نفدت العلبه. سيكاير يا ولد! هات علبه سيكاير
(لو كس) .

— حاضر!

(.. الكأس الثانية والحدر اللذيذ بدأ يسري. اصابعي،
راحتاي، قدماي. احس بها احياناً. او كأنها عتلتان احملها
كالحمال الذي كان يرفع قضبان البناء هذا الصباح. صباح اليوم،
والربع الدينار، إقترضته من بقال الحي. ربع دينار. فكرت
في اقتراضه منذ الامس. ما أبشع وجهه. تجهم واربد ولكنه
استل الدفتر المتهرى. من درج تحت الميزان. دفتر الديون.
قلّبت صفحات عديدة. اسماء عديدة. ابراهيم افندي زميلي
بالمدرسة معلم الرياضة. جارنا الحاج عبدالمجيد. سكر، شاي،
علب دخان، صابون، كبوت، كلهم يقترضون، والذفع في
نهاية الشهر. الراتب ضئيل. الحكومة وعدت بتعديل القانون.
تكلّم النواب في المجلس. خطبوا بالعامية، ونشرت اقوالهم
بالفضحي. حذف من المحضر فقرات جريئة. ارادوها
حصيلة للانتخابات القابلة. ثروة. لا يؤمنون هم بها.)

— تعال. بوي. مزة!

— نعم! لوبيا ام طماطة?

— طماطة!

(.. الطماطة. فيتامينات. ايّ فيتامين تحويه الطماطة،
دورها بالفلسفة. العلم يتبخّر، الفلاسفة قالوا: آفة العلم النسيان!
قرأت امس عن الفلسفة اليونانية، بحثوا عن الحقيقة. ما وراء
الطبيعة ميتافيزيك لم يصلوا بعد الى حقيقة الطبيعة. هرعوا الى
ما وراءها. اتصلوا مع القمر بالرادار. الانسان. مسكين.
بعوضة تبحث عن اكوان اخرى. تعيش في هذا الكون.)

— علبه كبوت. يا ولد!

(.. نفدت. كانت هناك واحدة على الرف في المطبخ

تستعملها امي. امي ثائرة. حديثها عن الحنطة لا ينقطع. الحنطة
بنصف دينار. نحتاج الى برغل هذه السنة. لا تفكر الا بالحنطة.

عالمًا غير قوفعته . لا أجادله . آه الكتب . الموسيقى . في هذا الواقع العفن . الحياة بامية . أزقة آسنة . طفل يتغوط في الطريق . سطحنا محاط بجدران من الصفيح . أمي ترتدى عباءة وبرقعاً ، تخاطب بائع النفط من وراء الباب . خطبت لي مرة . اهل الخطيبة يرفضون ان اراها . الشرف يا بني ، بنت الناس . عاقلة مهذبة ، درست للصف السادس . نعم تترك المدرسة بعد عقد القران . تطرز وتطهر جيداً . جميلة كصور الممثلات في المجلات . حملت بها لبالي طوالاً . فتاة لهما له طعم شهبي . ولكن مئة وخمسون ديناراً ، متى اجمعها ؟ « فتحي » صديقي مأمور الاستهلاك دفع ثلاثمائة دينار . هل سرقها ؟ إذن لماذا اخرجوه ، كلهم يسرقون ؛ يرتشون ، انا ماذا اسرق ؟ طباشير ؟ كراسات ؟ الحكومة تكافح الرشوة ، من ابن لك هذا ؟ كل سنة يقع واحد في الفخ ، متى ينتهون ؟ كل ساعة تنهب آلاف الدنانير .

— جريدة اليوم ، آخر الاخبار ، الساعة ، الوقت ، الايام . (هذا البائع الأعور ، يتجول بين موائد الخمورين ، فلس واحد عن كل جريدة ، يستطيع ان يأكل ، كم طفل ؟ شقاء ! لا ، سعيد ، متزوج لا ! ! لا ! البغايا خير ، ها ! الزواج فضيلة ، نصف الايمان هه ! اطفال يعني المرض دائماً ، اطباء ! فساتين نايلون ، حنطة ، رهن ، ايجار ، كل شيء بالاقراض ، أمك لا اساكنها ، احذية ، كعك للعيد ، جاء الشتاء ، فحم ، معاطف ، برغل ،) — تعال ! هات نسخة ، اعتداء اليهود على الحدود الاردنية مفاوضات الهدنة في كوربا ، إجتماع الاربعة الكبار ، سافر وزير الـ . ظهر اليوم ، معالي وزير الـ . يعتذر عن قبول تهنئة العيد ، سيقيضه بخارج العاصمة ، انتقلت المرحومة الى ، قضت حياتها بالـ .

(أف ، شريط مسجل ، امزقها ، لا ! تفيد ، اغاف بها كتاباً ، اتنى احياناً ان اكون صحفياً ، صحافتنا هزيلة ، نفاق ، كذب ، مقالات مسروقة ، اقتراءات ، مخصصات سرية ، منشورات للدعاية من السفارات الاجنبية ، نسخ متشابهة لاسماء مختلفة ، ذلك القدر ، كان يهدد بالتلفون احد شبوخ العشائر ، سيفضحه اذا لم يرسل له المبلغ المتفق عليه ، تتبعت اعداد الجريدة ، لم يظهر اسم الشيخ ، دفع المبلغ إذن ! رئيس قبيلة على الحدود يتعامل مع مهربي الماشية عبر الحدود ، ثم الى اليهود ، العرب ، أهه ! يريدون القضاء على اسرائيل !

مسخرة ! التاريخ يسير ، نحن نجتر ، داروين قال بالتطور ، كفر ، زندقه ، نظرية تحت التجربة ، اينشتاين والنسبية . الذرة تنفجر في صحراء نيقادا . الهايدروجينية أفضح . الكرة الأرضية ستفنى . الأشعة الكونية . قال معمم في المقهى ، الذرة جاء ذكرها في القرآن . هذه علامات الساعة .)

— السلام عليكم !

— أهلاً علي . تفضل !

— شكراً . معي اصحاب . سنجلس هناك .

(علي رجل طيب ، عرفني به احمد . درست وأحمد معاً . كانت ايام المدرسة مبهجة . سرعان ما ذهبت . كان احمد شاباً قوي الجسم يلذ له مشاكسة مدرسيه . شباب . شباب اقوياء سيأكلنا المدفع يوماً . ستطحننا القنابل . الحرب قريبة . هكذا تقول الصحف بأحرف حمراء . لا ! السلام خير . الساسة لم يجتئوا بعد ، نحن على الحدود . الدفاع المشترك . جدل في المقاهي . المقاهي مليئة بنا . فراغ . فراغ . فراغ . كلنا ساسة حتى ساقى القهوة . اضغاث احلام . شعور لامعة (بريل كريم) احذية عالية . سراويل (سرج) . قمصان بيضاء . جولات في الشوارع عند الأصيل . البيوت كئيبة ، لا نعرف النساء ، امي وخالتي ، أو عجوز تبسح الحناء ، تريد ان اقرأ لها الجريدة . لماذا تطالع لنفسك فقط ؟ ستفتح المدارس بعد شهر ، ابواب الكليات تزدحم ، القبول إنتهى ، صبيح يتوسط بقريه النائب . (علي) سيعمل في البلدية ، مراقب عمال ، تسعون بالمائة سيعلمون في الأرياف أو يكافحون الجراد ، ثمانية دنانير وعلاوة غلاء ، صحاري ، قفار ، مزابل ، اعراب ، اكراد ، سرقات ، فراغ . هذا الزحلاوي ، طعمه لاذع ، من زحلة يقطره معمل أمبيح في بغداد ، لست الوحيد ، نحن ألوف ألوف ، عزاء محذر . (طه) يصلي الأوقات الخمسة ، ينظر إلي شزراً لأنني سكير ، هو لا يشرب ، لا يرتاد الماخور (ولد طيب) يجذب في المرأة بنهم ، أعزب ، تحت عينيه هالتان سوداوان ! أوه ! الساعة الواحدة صباحاً ، السندل هوامون ، ذلك الطويل أغفى على البار ، كييرهم غاب ، الى داره ، امرأة ، اطفال ، فراش دافئ . أمي يعلو شخيرها الآن !)

— تعال يا ولد ! حسابك ؟ . اربعمائة ؟ هاك . . عشرة

فلوس لك !

— أشكرك عي !

إضراب ، تأجيل الدراسة ، احكام عسكرية ، سجون ، سجون ،
سجون ، ألم نقل لكم ان إعطاء الحريات لهذا الشعب ليست من
صالحه ، صرح وزير ، أيده المجلس اكثرية ، تصفيق .)
- هم م م م ، هاو ! هاو ! هاو !
- أشنت ! أشنت !

(الكلاب السائبة كثيرة ، جسمي يرتعش ، شعري يقف !
هذا لا يعقر ، نباحه مصطنع ، الحوف غريزة مندعصر الكهوف ،
عقلي في كهف معتم ، رعب ، رعب ، رعب ، في المقاهي شرطة
من الشعبة الخاصة ، هذه الجريدة تكرهها الحكومة ، معارضتها
عنيفة . ذهني مصفد ، لا اعني شيئاً ، النوم ، آه . يجب ان
انام ، الحذر اللذيذ ، الفراش ، بعد خطوات عشر ؛ لا ! عشرون ،
غرفتي معتمة ، امي تنام على السطح . زر الكهرباء فوق الراديو ،
أستطيع ان اضغط عليه ، قواي لم تتلاش بعد ، اني اندفع الى
الوراء ، الى الوراء ، الى الوراء ، الباب ها هو ، رتاجه مفتوح
قليلاً ، الزقاق امين ، لم اسمع بسرقة في هذا الحي ، شعب بسيط
يؤمن بالقدر . لا يسرقون . لا يسرقون امرأة تنام لوحدها .

الدخينة ، أهه ، بصيصها يضيء ، لذعتني ، شفتاي تصلبتا ، علبتان
من المساء حتى الآن ، الآن طبول في حمام ، الى الوراء ، الى
الوراء ، الى الوراء ، ابتعد عني الباب ، آخ ! إلتوت قدمي
سأمتنع عن الشراب بعد اليوم ، رأسي ليس معي ، احدهم
أخذه بعيداً ، كيف سأدخل الدار !؟ احدهم يدفع بي الى
الوراء ، يدفع ، يدفع ، يدفع ، وشيش ، ش ، ش ش ش ،
طنين ن ، ن ، ن ن ن وش ، طبول في حمام احدهم يأخذني
الى دهليز معتم ، حلم ، لا ! ظلام ، لا حلم ، ظلام ، لا احس ،
لا انا احس ، لا احس ، لا اصابعي ليست اصابعي ، السيكرة

ما خبا بصيصها ، الى فمي الى
فمي ، وصلت ، كاوية !! الباب ،
الباب ، رأيت ، بابنا بابنا اعرفه ،
مساميره كما في ابواب السجون ،
الباستيل سجن رهيب ، حلم ،
ظلمة ، عتمة ، احدهم يدفعني
الى الوراء ، ه ه ه ه ، وش
، وش وش ن ن ن وش ، ش
ش ش ش ش ش ش (ش)

(. . آخر سيكرة في العلبة ، إيه ! ستنتهي عند باب الدار
الشارع مقفر ، الهواء منعش ، سيارة فخمة ، عتل كان في ناديه
قمار ، قهقهات ، الرصيف متعب ، أحجار نائثة . توازي في جيد ،
شرطيان ، سبعة دنانير في الشهر من الصباح الى الصباح ،
زوجاتهم يغسلن الصوف ، سيئات السمعة ، يقذعن في شتاظمن .
هناك احجار بيضاء ، لا اكوام من الملابس الرثة ، لها رؤوس
اجسامها مستلقية . ها ! حاصدون من الجبال ، اكراد ، امرأة
تضطجع بين الرجال ، لباسها طويل كجواربي التاريخ ! ناموا
مجنضون المناجل ، غداً سيحصدون مئة فلس ، خبز جاف
وماء آسن ، من الجبال جاءوا ، عنب تفاح شلالات ، الحنطة
يريدون ، تصدر كل عام الى الخارج ، الحاصل وفير ، في الشتاء
يستمر الغلاء ، السرايب مملوءة ، ليس ثمة حنطة في الأسواق ،
النساء يبعن اصواف فرشن والقذور النحاسية . ذكريات الزواج
لمرأة أذاعت قبل عام ديناراً ، باعت لحافها مع الصوف ،
تبكي امام البائع ، طفلها يصرخ ، جمعوا لها دراهم ، لم تكف
ثمناً لوزنة واحدة . ذهبت بعيداً .)

- هاو ! هاو ! هاو !

(كلب اسود ، إقشعر جسمي ، توازي سيختل ، إنشل
النضاع المستطيل ، لا ! اصابه الحذر ، ذلك الزقاق عن يمين
الشارع سأعرج الى اليسار ، ثالث دار باتجاه يدي اليسرى ،
فوقه مصباح كهربائي ، التيار مقطوع ، جميع الازقة مظلمة ،
مكائن كهرباء جديدة ستشحن الى البلد ، اوصت بها الحكومة
قبل عامين ، مهندس الكهرباء إنكليزي ، لا تبعث الحكومة
طلاباً لهندسة الكهربائية . الدول الصغيرة لا تستطيع ان
تقف وحدها ، الحياض مستحيل العالم يضطرب ، وزير صرح
بهذا ، ! الوزير واقعي ، مذكرات ، ازمة وزارية ، لتسقط
الوزارة ، امتلأت الشوارع ، شباب ، فتيات نريد الجلاء ،
يسقط الوزير ، فلسطين ، فلسطين ، فلسطين الموت للانكليز ،
للصهاينة ، خوذ فولاذية ، هراوات ، رشاشات ، دماء ،
جرحي ، قتلي ، مواضيع دسمة للجرائد . محاكمة ذوي
الافكار الهدامة ، المدعي العام يتهم ، أقسى العقوبات ، الفقرة
كذا صريحة ، الجلسة الثالثة ، معتقات بعيداً ، بعيداً في صحراء
الجنوب ، قلاع من القرون الوسطى ، عشر سنوات ، عشرون ،
مراقبة ، سل ، موت ، احتجاج عرائض ، نساء يتضرعن ،
اولادنا ! ! ، انصرفوا الى دروسكم الحكومة أدري بواجبها ،



غانم الدباغ

الموصل - العراق